

المبحث الثاني
دفاعات الأزهرى

.....



.....

obeikandi.com

دفاعات الأزهرى

بالبحث في كتاب معاني القراءات للأزهرى وجدته في مواطن عديدة يدافع عن بعض القراءات التى وجه إليها طعن ، وصدر ضدها حكم بالتخطئة وبعدم الجودة ، وغير ذلك من أحكام ، سواء كانت هذه الأحكام صادرة من جهة الأزهرى - نفسه - أو من جهات أخرى ، فانبرى الأزهرى مدافعا ومنصفا للقراءة من نفسه ومن غيره ، وجاءت هذه الدفاعات في أسلوب صريح وعبرة كاشفة واضحة ، كما سبقت في أسلوب استنبطت منه الدفاعات ، وفهمت منه تلك الإنصافات .

دفعني هذا إلى تسجيل ورصد هذه المواضع لدراستها ومناقشتها والتعليق عليها لوضع رؤية حقيقية ، واستخلاص النتائج اللازمة .

وإليك هذه الدفاعات ، مدروسة ثم يأتي بعدها تعقيب إن شاء الله تعالى :

الدفاع الأول :

عند قول الله تعالى : ﴿ صِرْطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧] يعرض الأزهرى القراءات في لفظ ﴿ غَيْرِ ﴾ فيقول : «قرأ أبو عمرو ونافع وابن عامر وعاصم وحمة والكسائي ويعقوب : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ ﴾ بالكسر ، واختلف عن ابن كثير ، فقال : أبو حاتم : قال بكار : حدثني الخليل بن أحمد عن ابن لعبد الله بن كثير المكي : أنه قرأ : «غير المغضوب عليهم» نصبا ، قال بكار : وحدثني الغمر بن بشير عن عباد الخواص ، قال : قراءة أهل مكة : «غير المغضوب» بالنصب قال أبو حاتم : روى هارون الأعمور عن أهل مكة : النصب في «غير» قال أبو منصور : وروى غير هؤلاء عن ابن كثير أنه قرأ «غير» بالكسر كما قرأ سائر القراء»^(١) .

(١) كتاب معاني القراءات ١/ ١١٥ ، ١١٦ .

موقف الأزهري من القراءتين السابقتين :

قال أبو منصور : « والقراءة الصحيحة المختارة ﴿غَيْرَ الْمَغْضُوبِ﴾ بكسر الراء ، ونصب الراء شاذ »^(١) .

التعليق والمناقشة :

لقد اختار الأزهري قراءة الكسر ووصفها بالصحة ، أما قراءة النصب لابن كثير فوصفها بالشذوذ ؛ ولذلك ذكر رواية أخرى عن ابن كثير تقول بالنصب مثل بقية القراء ، وكان يمكن أن يكتفي الأزهري بذلك إلا أنه ذكر عن الفراء والزجاج جواز النصب والتخريج له ويتخلص في وجهين ، هما : الحال والاستثناء^(٢) وأضاف أبو علي الفارس ثالثا حكاة عن الخليل بن أحمد ، وهو القطع ، أي : أعمني^(٣) .

تعليق الأزهري :

يقول العلماء في جواز النصب والتخريج له يعتبر ردا ودفاعا عما ذهب إليه من تشذيب قراءة النصب لابن كثير .

الدفاع الثاني :

عند قول الله تعالى : ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦] يسوق الأزهري كلاما لأبي حاتم يذكر فيه : « ونحن نكره الجمع بين همزتين ، قال : ومما يدل على كراهية العرب اجتماع الهمزتين قول الله تبارك وتعالى : ﴿هَتَأْتُمْ﴾ [آل عمران: ٦٦ ، ١١٩ ، النساء: ١٠٩ ، محمد : ٣٨] قال أبو حاتم : قال الأخفش : إنما هو «أنتم» أدخلوا بين الهمزتين ألفا استثقالا لهما ، وأبدلوا من الهمزة الأولى هاء كما قالوا : هرقت الماء وأرقت ، وقالوا : هباك ، بمعنى إياك »^(٤)

(١) كتاب معاني القراءات ١ / ١١٦ .

(٢) السابق : ١ / ١١٦ ، ١١٧ (ملخصا) .

(٣) الحجة ١ / ١٠٦ .

(٤) كتاب معاني القراءات ١ / ١٣١ .

ويرد على أبي حاتم بما يلي :

ما كرهه أبو حاتم من اجتماع الهمزتين المحقتين دون إدخال وسيلة تخفيف، قد أتت به الرواية ، كما أتت روايات بالتخفيف ، فقد قرأ بهما أي : بالهمزتين من القراء غير ابن كثير ونافع وأبي عمرو ويعقوب ، وقال الأزهري معلقا : «كل ذلك عربي فصيح ، فمن همزة مطولة فر من الجمع بين الهمزتين ، ومن جمع بينهما فهو الأصل»^(١) فقرر الأزهري لاجتماع الهمزتين أمرين :

أ - العربية الفصيحة : بل عزاها العلماء إلى تميم^(٢).

ب - الأصالة : ولورد الأزهري بهذا - صراحة - على أبي حاتم لكان أصوب ، لكن الرد مستنبط .

٢- القرآن والقراءات زاجا بين المبدل والمبدل منه ، فقال : ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة:٦] وبإدخال ألف بينهما ، وقال : ﴿هَتَأَنْتُمْ﴾ ولو كره القرآن الهمزتين لقال : «ها نذرتهم» .

تمثيل أبي حاتم لكره العرب اجتماع الهمزتين المحقتين بهرقت الماء وأرقت وهياك وإياك ليس في محله ؛ لأن الحديث عن الهمزتين والتمثيل بالهمزة الواحدة ، ومع ذلك فالصورتان في اللغة على سبيل التبادل ، يقول ابن جنى : «الهاء بدل من الهمزة ، كقولهم في أرقت : هرقت ، وأوردت ، هردت ، وأرخت الدابة : هرخت ، وأثرت التوب : هثرت»^(٣)

(١) كتاب معاني القراءات ١ / ١٣٠ .

(٢) الكتاب لسيبويه ٣ / ٥٥١ تحقيق الشيخ / عبد السلام محمد هارون الخانجي / القاهرة والبحر المحيط لأبي حيان ١ / ٤٧ .

(٣) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ١ / ٣٩ ، ٤٠ تحقيق / على النجدي ناصف وآخرين سنة ١٣٨٦ هـ .

إذا ثبت أن قراءة الهمزتين المحققتين هي على الأصل فإن قراءة «إياك» بالهمزة المفردة هي الأصل ، بدليل إجماع القراء على قراءتها بالهمزة في : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ولم تكن - هناك - قراءة بالهاء إلا لأبي سوار الغنوي ، وهي لهجة من لهجات العرب ^(١) :

الدفاع الثالث :

عند قول الله تعالى : ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٦] يحكى الأزهري القراءات في ﴿عَسَيْتُمْ﴾ فيقول : «قرأ نافع وحده «عسيتم» بكسر في السورتين «هنا وفي سورة القتال : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢] وقرأ يعقوب ها هنا بفتح السين وفي سورة القتال «عسيتم» وسائر القراء قرؤوا «عسيتم» ^(٢) .

موقف الأزهري من القراءتين السابقتين:

موقفه من قراءة الفتح: لقد اختار الأزهري قراءة الفتح، وقدم الدليل على صحتها فقال: «وهي المختارة» ^(٣) وقال: «وأهل اللغة اتفقوا على ﴿عَسَيْتُمْ﴾ بفتح السين، والدليل على صحتها اجتماع القراء على قوله : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٩ والإسراء: ٨ والطلاق: ٨] لم يقرأه أحد: عسى ربكم» ^(٤) .

موقفه من قراءة الكسر:

عقب الأزهري على قراءة الكسر بقوله : «واتفق أهل اللغة على أن كسر السين ليس بجيد، وأنا أحسبها لغة لبعض العرب وإن كرهها الفصحاء» ^(٥) .

(١) ينظر أحكام الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ١٩٣ دار الغد العربي ط ١ / ١٩٨٨ م ١٤٠٩ هـ .

(٢) كتاب معاني القراءات ١ / ٢١٤ .

(٣) السابق .

(٤) السابق .

(٥) السابق : ٢ / ٣٨٧ .

التعليق والمناقشة:

حوى تعليق الأزهري على قراءتي الفتح والكسر في ﴿عَسَيْتُمْ﴾ على عدة نقاط جديدة بالبحث، هي:

الأولى: جعل الأزهري يعقوب مع نافع في القراءة بالكسر في سورة القتال، ونص على ذلك عندما قال: «قرأ نافع ويعقوب «عسيتم» بكسر السين»^(١) وهذا ما لم أقف عليه فيما رجعت إليه من كتب القراءات، وهذا - أيضا - ما قرره محققوا الكتاب.

الثانية: دفاع الأزهري عن قراءة الكسر بإثباتها لهجة من لهجات العرب، وهذا في مواجهة أهل اللغة الذين وصفوها بعدم الجودة، فهي لهجة وإن كان قد بناها على الحسبان في موضع، فقد أكدها في موضع آخر بقوله: «فهي لغة»^(٢) إلا أنه مع هذا التأكيد لم يعزها، وهي معذوة إلى أهل الحجاز^(٣).

الثالثة: وصف لهجة الحجاز في «عسيتم» بالكسر، لقد ثبتت لهجة على الرغم من كره الفصحاء لها، لكن الأزهري يصف هذه اللهجة بأنها «وليست بالكثيرة الشائعة»^(٤).

وعبارة الأزهري - هنا - أخف وألطف من عبارات أخرى، كعبارة ابن السكيت الذي يقول فيها: «إن «عسيتم» لغة، ولكنها لغة رديئة» وقول أبي حاتم: «ولا وجه لـ «عسيتم»»^(٥).

(١) معاني القراءات ٣٨٨/٢.

(٢) البحر ٢٥٥/٢.

(٣) معاني القراءات ٣٨٨/٢.

(٤) السابق: ٣٨٨/٢.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٥/١.

الرابعة: دليل الأزهري على قراءة الفتح بـ ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ [الإسراء: ٨١] هذا الدليل مردود؛ لأن لهجة الحجاز الكسر إذا اتصلت بـ (عسى) الضمائر، قال أبو بكر الأذفوى وغيره: «إن أهل الحجاز يكسرون السين من ﴿عَسَىٰ﴾ مع المضممر - خاصة - وإذا قيل: عسى زيد، فليس إلا الفتح، وينبغي أن يقيد المضممر بما ذكرناه»^(١) فالدليل ليس في محله، فإن قيل: ما قولك في قراءة غير نافع من فتح السين مع المضممر؟ أقول: قرأ القراء بالفتح على سبيل الجواز لا الوجوب، جاء في البحر: «والمحفوظ عن العرب أنه لا تكسر السين إلا مع تاء المتكلم والمخاطب ونون الإناث، نحو: عسيت وعسيت وعسين على سبيل الجواز لا الوجوب، والفتح فيما سوى ذلك على سبيل الوجوب»^(٢) ولذلك رد أبو حيان على أبي عبيد قوله: «لو كان «عسيتم» بكسر السين لقري: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾» بقوله: «وهذا جهل من أبي عبيد بهذه اللغة»^(٣).

الخامسة: ليس نافع - وحده - هو الذي قرأ بالكسر، بل يضاف إليه الحسن وطلحة بن مصرف^(٤) وإن كان هذا ليس من منهج الأزهري، إلا أنه استخدمه في مواطن، وعلى كل حال فإضافة القراء - هنا - إلى نافع يقوى القراءة بهذه اللهجة الفصيحة. ويهنا - هنا - دفاع الأزهري عن القراءة بإثباتها لهجة من لهجات العرب.

الدفاع الرابع:

عند قول الله تعالى: ﴿فَنِعْمَ هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١].

(١) البحر ٢/ ٢٥٥.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

(٤) إعراب القرآن ١/ ٣٢٥.

متصل يعرض الأزهرى القراءات في ﴿فَنِعْمًا﴾ فيقول: «قرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص عنه، والأعشى عن أبى بكر عنه، ويعقوب: ﴿فَنِعْمًا هَي﴾ بكسر النون والعين، وكذلك روى ورش عن نافع بكسر النون والعين، وقرأ أبو عمرو ونافع وعاصم في رواية يحيى عن أبى بكر عن عاصم والمفضل عنه ﴿فَنِعْمًا هَي﴾ بكسر النون وتسكين العين، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: «فنعم هي» بفتح النون وكسر العين وتشديد الميم^(١).

موقف الأزهرى من القراءات السابقة:

أولاً: موقفه من القراءة بكسر النون والعين، يجوز الأزهرى هذه القراءة، فيقول: «من قرأ: ﴿فَنِعْمًا هَي﴾ بكسر النون والعين، فهو جيد؛ لأن الأصل في نعم ونعم: ثلاث لغات»^(٢).

ثانياً: موقفه من القراءة بفتح النون وكسر العين، فقد ربطها باللهجات، يقول: «من قرأ: ﴿فَنِعْمًا هَي﴾ فهي على لغة من يقول: نعم»^(٣).

ثالثاً: موقفه من قراءة كسر النون وتسكين العين وتشديد الميم، واتسم هذا الموقف بخمسة أمور:

ربط القراءة باللهجة، فيقول: «وأما من قرأ: ﴿فَنِعْمًا﴾ بكسر النون وسكون العين وتشديد الميم، فهي على لغة من يقول: نعم كاثم، أدغم الميم من نعم في ما وشددها وترك العين على حالها ساكنة»^(٤).

بيان موقف أهل البصرة من هذه القراءة، يقول: «وهذه القراءة عند نحوى أهل

(١) كتاب معاني القراءات ١/ ٢٢٧، ٢٢٨.

(٢) السابق ١/ ٢٢٨.

(٣) كتاب معاني القراءات ١/ ٢٢٨.

(٤) السابق ذاته.

البصرة غير جائزة؛ لأن فيها الجمع بين ساكنين مع غير حرف مد ولا لين»^(١).
بيان موقف أبي عبيد، وهو نحوى بصرى، يقول: «وكان أب عبيد يختار هذه القراءة»^(٢).

موقف أهل النحو مرة ثانية، يقول: «ولم يجزها أهل النحو» عمم هذه المرة.
بيان موقف الأزهري نفسه، يقول: «والقراءة «فنعماً» أو «فنعماً» ومعناها: فنعم الشيء»^(٣).
التعليق:

يشم من موقف الأزهري تجاه قراءة كسر النون وتسكين العين وتشديد الميم الدفاع عن هذه القراءة، وإن كان قد اختار غيرها؛ وذلك لما يلي:
ربطه القراءة باللهجة.
ذكره اختيار أحد العلماء لهذه القراءة.

فعندما يذكر الأزهري هذين الأمرين في وسط هذا الرفض النحوى يمكن أن يعد جوازاً ومروراً لهذه القراءة.
الدفاع الخامس:

عند قول الله — تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة: ١١٢] يذكر الأزهري القراءات فيها، فيقول: «قرأ الكسائي والأعشى عن أبي بكر: «هل يستطيع ربك» بالتاء ونصب الباء من «ربك» وقرأ الباكون: بالياء ورفع الباء من «ربك»»^(٤).

(١) معاني القراءات ١/ ٢٢٩.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

(٤) السابق ١/ ٣٤٣.

توجيه الأزهرى للقراءتين :

يوجه الأزهرى قراءة الكسائى ومن معه بما قاله أبو زيد ، فيقول : « وأخبرني المنزري عن أبي اليزيدي عن أبي زيد أنه قال في قول الله - جل وعز : « هل تستطيع ربك » معناه عندنا : هل تدعو ربك ؟ هل تستطيع بدئك أن ينزل » ^(١) ثم يقوم الأزهرى بتوجيه قراءة الياء ، مع رفع الباء ، فيقول :

« ومن قرأ بالياء فمعناه : هل يفعل ربك ؟ لأن القوم لم ينكروا ولم يشكوا أنه يستطيع » ^(٢) .

وكان للأزهرى أن يكتفى بذلك ، أي : بتوجيه قراءتي التاء ، والتاء إلا أنه ذكر موقف بعض العلماء من قراءة التاء ، فقال : « وقال أبو نصير النحوى : الاختيار « هل تستطيع ربك » على معنى : هل يستجيب لك ربك ، هل تسأله ذلك ؟ قال : وكانت عائشة تنكر القراءة الأخرى ، وتقول : كان القوم أعلم بالله من أن يقولوا : هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ » ^(٣) .

موقف الأزهرى أبا نصير يختار قراءة ويدعم هذا الاختيار بإنكار عائشة > ساق كلاما للفراء يواجه به هذا الإنكار ، قال : « وقال الفراء : من قرأها هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ » هذا كقولك : هل يستطيع فلان القيام معنا ؟ وأنت تعلم أنه يستطيع ذلك ، فهذا وجه هذه القراءة » ^(٤) فإكتفاء الأزهرى بهذه الفقرة من كلام الفراء ، كأنه يدافع بها عن قراءة الياء ، وأيضا عبارة « فهذا وجه هذه القراءة » لم تذكر في كلام الفراء ، فتوجيه الأزهرى لقراءة الياء أولا ، ثم ذكره لكلام الفراء بعد كلام

(١) معاني القراءات ١ / ٢٢٩ ..

(٢) السابق ١ / ٣٤٣ .

(٣) السابق ١ / ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

(٤) السابق ١ / ٣٤٤ والنص في معاني القرآن للفراء ١ / ٣٢٥ . بتصرف قليل .

أبى نصير ، ثم زيادة عبارة «لهذا وجه هذه القراءة» لدليل على قوة قراءة الياء .

الدفاع السادس :

عند قول الله تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمْنْتُ بِهٖ ﴾ [الأعراف: ١٢٣] يذكر الأزهري القراءات ، وهى : «قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب : «آمنت» بهمزة مطولة ، على الاستفهام ، ومثله في سورة [طه: ٧١] و [الشعراء: ٤٩] ، وروى قبل عن ابن كثير : «قال فرعون وأمنت» بواو بعد النون ، وألف مقصورة بعد الواو ، وفي طه : «آمنت» على لفظ الخبر ، وفي الشعراء : «آمنت» مثل أبى عمرو ، قرأ بكر وحمة والكسائي : «آآمنت» بهمزتين ، الثانية ممدودة ، وهذه رواية الأعشى عن أبى بكر عن عاصم ، ولا يذكرها يحيى ولا غيره عن أبى بكر إلا الأعشى ، وقرأ عاصم : «آمنت» على لفظ الخبر في الثلاثة المواضع ، وكذلك روى ورش عن نافع مثل حفص ، وروى هبيرة عن حفص في الشعراء بهمزتين»^(١) .

موقف الأزهري من القراءات السابقة :

للأزهري موقفان من القراءات السابقة :

الموقف الأول : إجازة جميع القراءات ما عدا قراءة ابن كثير والتي رواها عنه قبل ، فبعد أن وجه القراءات ، قال : «وكل ذلك جائز»^(٢) .

الموقف الثاني : عدم اعترافه بقراءة ابن كثير وعدم حبه القراءة بها ، قال : «وأما ما روى لابن كثير : «قال فرعون وأمنت به» فإني لا أعرفها ، ولا أحب القراءة بها ؛ لأن الواو زيادة في المصحف»^(٣) .

التعليق والمناقشة:

موقف الأزهري من قراءة ابن كثير موقف الرفض لهذه القراءة ، يتكلم بها ،

(١) كتاب معاني القراءات ١ / ٤١٨ ، ٤١٩ .

(٢) السابق ذاته .

(٣) السابق ذاته .

ويجعل الواو بدلا من الهمز^(١) فقلوله هذا يعتبر دفاعا عن القراءة ، وإنصافا للقراءة عن نفسه ، ومما يقوى هذا الدفاع ما يلي : -

قراءة ابن كثير موضع الأعراف - فقط - بالواو دون موضعى طه والشعراء ، مما جعل العلماء يوجهون موضع الأعراف بأنه جاء بعدم ضم ، وأما الموضعان الآخران فبعد فتح فرجع عنه ابن كثير بالرواية ، يقول ابن خالويه : « فيكون هذا على أن أشبع ضمة نون «فرعون» حتى صارت كالواو »^(٢) .

إشباع الضم حتى يتولد منه واو جاء على مستويات ثلاثة^(٣) :

المستوى اللهجى : إشباع الضم لغة العرب ، قال زيدو ، وجاءني بكرو .

مستوى القراءات : روى ورش عن نافع : « إياك نعبد وإياك نستعين » .

جـ مستوى الشعر : قال الأعشى :

ويلي عليك وويلي منك يا رجلو .

الدفاع السابع :

عند قول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾

[الأنفال: ٣٥] يقول الأزهرى : « حكى سفيان الثورى عن عاصم ، وهارون عن

حسين عن أبى بكر عن عاصم : « وما كان صلاتهم » نصبا « إلا مكاءً وتصدية »

بالرفع ، والباقون : « صلاتهم » رفعا « إلا مكاءً وتصدية » نصبا^(٤) .

موقف الأزهرى من قراءة عاصم :

دافع الأزهرى عن قراءة عاصم في مواجهة اتهامه باللحن في رواية الثورى : « قال

(١) كتاب معاني القراءات ١ / ٤١٨ ، ٤١٩ .

(٢) إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ١ / ٢٠١ .

(٣) السابق ١ / ٢٠١ ، ٢٠٢ بتصرف .

(٤) معاني القراءات ١ / ٤٣٩ .

الثوري: قال لي الأعشى لما أعلمته قراءة عاصم: إن لحن عاصم تلحن أنت؟^(١)
فقد دافع الأزهري بما يلي:

توجيه قراءة عاصم، فقال: «نصبوه على أنه خبر كان، والاسم مؤخر، وهو
«إلا مكاء»^(٢) وهذا وجه في العربية صحيح، كما قال الأزهري نفسه.

مكانة عاصم العلمية: يقول الأزهري: «وليس بلحن، وكان عاصم فصيحاً،
وكان كثيراً يقرأ الحرف على وجهين، ولا يقرأ إلا بما سمع، ووجهه في العربية
صحيح»^(٣).

فقد وضع الأزهري أسساً للدفاع عن عاصم، ومع ذلك نقده في عدة مواضع
من كتابه، سنناقشها في أماكنها - إن شاء الله.

الدفاع الثامن:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ [الأنفال: ٥٩].

القراءات:

في ﴿يَحْسَبَنَّ﴾: قرأ ابن عامر وحفص وحزرة: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء - ها هنا -
وكذلك في النور إلا حفصاً، فإنه قرأ النور بالياء مثل أبي بكر، وقرأ الباقر: «ولا
تحسبن» بالتاء^(٤).

موقف أهل اللغة من قراءة الياء، لقد ضعف أهل اللغة قراءة الياء، يقول
الأزهري: «فوجهه ضعيف عند أهل العربية»^(٥).

(١) معاني القراءات ١/ ٤٣٩.

(٢) السابق.

(٣) السابق ١/ ٤٣٩، ٤٤٠.

(٤) السابق ١/ ٤٤١.

(٥) السابق ١/ ٤٤٢.

موقف الأزهري :

لقد أجاز الأزهري قراءة الياء في مواجهه أهل العربية، فقال: «وهو مع ضعفه جائز»^(١) وجوزه بأمرين:

١- التفسير والمعنى: «المعنى: ولا يحسن الذين كفروا أن سبقوا» .

٢- الروايات الأخرى: «وقد روى لابن مسعود أنه قرأ: «ولا يحسن الذين كفروا» بالياء، وهذه القراءة تؤيد هذه القراءة - والله أعلم» .

رد أبي حيان: كما رد الأزهري ودافع عن القراءة في مواجهة أهل العربية، رد أبو حيان على الزمخشري بقوله: «ولم ينفرد بها حمزة - كما ذكر - بل قرأ بها ابن عامر، وهو من العرب الذين سبقوا اللحن، وقرأ على عثمان وحفص عن عاصم وأبو جعفر يزيد بن القعقاع وأبو عبد الرحمن وابن محيصن وعيسى والأعشى، وتقدم ذكر توجيهها - أي: الرسول أو حاسب أو المؤمن أوفيه ضمير يعود على «من خلفهم» - على غير ما نقل مما هو جيد في العربية فلا التفات لقوله: وليست كثيرة»^(٢) .

الدفاع التاسع:

عند قول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ﴾ [يونس: ٣٥] يعرض الأزهري القراءات في «يهدي» فيقول: «قرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿أَمَّنْ لَا يَهْدَىٰ﴾ بفتح الياء والهاء وتشديد الدال، وكان أبو عمرو يشم الهاء الفتحة.

وقرأ نافع «يهدي» بفتح الياء وسكون الهاء وتشديد الدال وقرأ أبو بكر عن عاصم في رواية يحيى: «يهدي» بكسر التاء والهاء وتشديد الدال، وروى الأعشى عن أبي بكر عن عاصم: «يهدي» بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال، وكذلك قرأ الحضرمي، وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وتخفيف الدال»^(٣) .

(١) معاني القراءات ١/ ٤٤٢.

(٢) البحر المحيط ٤/ ٥١٠.

(٣) كتاب معاني القراءات ٢/ ٤٥، ٤٤.

موقف النجاة من قراءة نافع:

يقول الأزهري: «أما من قرأ: «أمن لا يهدى» بفتح الياء وسكون الهاء وتشديد الدال، فإن القراءة وإن رويت فاللفظ بها ممتنع عند النحويين، غير سائغة لاجتماع الساكنين، والعرب لا تكاد تجمع بينهما»^(١).

موقف الأزهري:

يفتح الأزهري باب الجواز على لسان رئيس النحاة، وهو سيبويه فيقول: «وقد حكى سيبويه أنها لغة. وإن كان مثلها قد يتكلم به»^(٢) فهنا أمران يدافع بهما عن قراءة نافع، وهما الرواية واللهجة، ويراد أن قول من قال: «والقراءة الثانية التي رواها قالون عن نافع يحكى فيها الجمع بين ساكنين، وهذا لا يجوز، ولا يقدر أحد أن ينطق به، قال محمد بن يزيد: لا بد لمن رام مثل هذا أن يحرك حركة خفيفة إلى الكسر»^(٣) ويرد - أيضا - البنا الدمياطي فيقول: «وأجاب عنه القاضي: بأن المدغم في حكم المتحرك، وقال السمين: لا بعد فيه، فقد قرئ به في: «فنعم»، و«لا تعدوا»^(٤).

الدفاع العاشر:

عند قول الله - تعالى: ﴿وَلَا تَلُكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧].
ذكر الأزهري القراءة في ﴿ضَيْقٍ﴾ فقال: «قرأ ابن كثير - وحده: «ولا تلك في ضيق» بكسر الضاد، ومثله في النمل: ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النمل: ٧٠] وكذلك ورى أبو عبيد عن إسماعيل عن نافع، وخلف عن المسبى عن نافع، وقرأ

(١) كتاب معاني القراءات ٢/ ٤٥، ٤٤.

(٢) السابق ٢/ ٤٥.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٥٤.

(٤) الإنخاف ٢/ ١١٠.

الباقون : « في ضيق » بفتح الضاد في السورتين»^(١).

تعليق الأزهرى :

لقد علق الأزهرى على القراءتين السابقتين بأقوال العلماء مع بيان موقفه من قراءة الكسر، فنقل عن الفراء ما يلى: «الضيق: ما ضاف عنه صدرك، والضيق قد وقع في موضع الضيق، كان على أمرين :

أحدهما: أن يكون جمعا للضيقة، كما قال الأعشى: كشف الضيقة عنا وفسح .

والآخر: أن يراد به «ضيق» فيخفف، قال: ضيق، كما يقال: هين و هين^(٢).

موقف الأزهرى من توجيه الفراء :

قال الأزهرى: «وعلى تفسير الفراء لا يجوز القراءة بالكسر»^(٣) ولو اكتفى الأزهرى بهذا لكان رأيه في قراءة الكسر، لكنه أخذ يذكر أقوالا أخرى غير التي ذهب إليها الفراء، فنقل عن:

١- أحد العلماء: قال الأزهرى : «وقد قال غير الفراء: يقال: في صدر فلان ضيق وضيق»^(٤) وهى عبارة ابن السكيت^(٥).

٢- أبو عمرو في رواية أبى عبيدة : «والضيق: الذي يضيّق، والضيق: الصدر، والضيق: الشك، والصديقة مثل: الضيق، وأنشد: بضيقة بين النجم والدبران^(٦) .

٣- الزجاج : «من قال: ضيق فهو بمعنى ضيق، وخفف، وقيل: ضيق، وجائز

(١) كتاب معاني القراءات ٢ / ٨٤.

(٢) السابق ٢ / ٨٤، ٨٥ والنص في معاني القرآن للفراء ٢ / ١١٥ بتصرف

(٣) معاني القراءات ٢ / ٨٥ .

(٤) السابق ذاته.

(٥) إصلاح المنطق لابن السكيت ٣٢ .

(٦) معاني القراءات ٢ / ٨٥ .

أن يكون الضيق بمعنى: ضيق»^(١).

التعليق والمناقشة:

لقد استبعد الأزهري احتمال إنكار قراءة الكسر بناء على تفسير الفراء، وذلك بما يلي:

بإثباتها قراءة عن نافع بطريقتين: بطريق أبي عبيد عن إسماعيل، وبطريق خلف عن المسيبي، وهذا في مواجهة من ينكرها عن نافع كأبي جعفر النحاس الذي يقول: «وهذا لا يعرف عن نافع»^(٢) مع أنه ذكر أن أبا عبيد رواها قراءة عنه وكأبي حيان الذي يقول: «ولا يصح عنه»^(٣) وإثباتها قراءة لنافع بجانب ابن كثير مما يقويها.

ذكر العلماء بعد الفراء الذين لا يفرقون بين المكسور والمفتوح، فهما إما مصدران، وإما مصدر واسم، وإذا كان مذهب الفراء والكوفيين يفرق، فإن مذهب أهل البصرة لا يعترف بهذا التفريق، يقول النحاس: «وقال الكوفيون: الفراء وغيره: الضيق: بفتح الضاد في القلب والصدر، والضيق: بكسر الضاد في الثوب والدار، وما أشبهها مما يرى، قال الفراء: فإذا رأيت الضيق بفتح الضاد قد وقع في موقع الضيق. فهو مخفف من ضيق، أو جمع ضيقة، ولا يعرف البصريون من هذا التفريق شيئاً، وقالوا: إذا أردت المصدر، قلت: الضيق، كما تقول: البيع، وإذا أردت الاسم، قلت: الضيق، كما تقول: العلم، وأجازوا في ضيق التخفيف»^(٤).

الدفاع الحادي عشر:

عند قول الله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ [الكهف: ٢٥] يعرض الأزهري

(١) معاني القراءات ٨٥/٢ وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٢٤/٣ فالنص بتصريف.

(٢) إعراب القرآن ٤١١/٢.

(٣) البحر المحيط ٥٥٠/٥.

(٤) إعراب القرآن ٤١١/٢، ٤١٢.

القراءات، فيقول: «قرأ حمزة والكسائي: «ثلاثائة» مضافة، وقرأ الباقر: ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ منونا» .

تعليق الأزهري :

لقد علق الأزهري بقوله: «من قرأ بالإضافة فإن الفراء قال: العرب يقولون: هذه سنين فاعلم، وسنون فاعلم، فمن جمعها بالواو والنون كان جمعا لا غير، ومن جمعها بالنون والياء في جميع الوجوه، قال: شبهت بالواحد، وكذلك من أجرى فهو كالواحد، كأنه قال: ثلاثائة سنه، فهذا وجه الإضافة .

ومن قرأه، فقال: «ثلاثائة سنين» ففيه وجهان: أحدهما: أن يجعل «سنين» في موضع النصب، ينصبها بالفعل، كأنه قال: ولبثوا في كهفهم سنين ثلاثائة .

الوجه الثاني: أن يجعل «سنين» في موضع الخفض، بدلا من قوله: «ثلاثائة»^(١) .

حكم الأزهري على القراءتين:

يقول الأزهري: «وكل حسن جيد»^(٢) .

اعتراض على قراءة الإضافة:

ساق الأزهري اعتراضا أخبر به المنذرى عن أبي حاتم، فقال: «وأخبرني المنذرى عن اليزيدي، قال: سمعت أيا حاتم، يقول في قوله: «كأنه قال: ليست مشهورة»^(٣) .

الرد على أبي حاتم: رد الأزهري على أبي حاتم بقوله: «وهذا يكون بدلا، كما قال الفراء»^(٤) .

(١) معاني القراءات ١٠٨/٢ وكلام الفراء في معاني القرآن ١٣٨/٢ وقد تصرف فيه الأزهري .

(٢) السابق ١٠٨/٢ .

(٣) السابق .

(٤) السابق ١٠٩/٢ .

التعليق :

ينتصر الأزهري - هنا- لرأي الفراء، ويرد بع على عدم شهرة القراءة .

الدفاع الثانى عشر:

عند قول الله - تعالى: ﴿قَالَ أَتُونِي﴾ [الكهف: ٩٦] بقطع الألف وقال الفراء: قرأ حمزة والأعمش: «قال أتوني» مقصورة، ونصبا «قطرا» بها، وجعلها من «جيشوني» قال: «أتوني» أي: أعطوني، إذا طولت الألف، ومثله: ﴿إِنَّا عَدَاءُ نَا﴾ [الكهف: ٦٢]، قال وإذا لم تطول الألف أدخلت الياء في المنصوب، وهو جائز، قال وقول حمزة والأعمش صواب وليس بخطأ من وجهين:
يكون مثل قوله: أخذت الخطام، أخذت الخطام.

ويكون على ترك الهمزة الأولى في قوله: «أتوني» فإذا سقطت الأولى همزت الثانية»^(١).

التعليق :

يذكر الأزهري دفاع الفراء عن قراءة حمزة والأعمش بإيجاد الوجوه التى تجعل القراءة مصيبة وليست بخاطئة.

الدفاع الثالث عشر:

عند قول الله - تعالى: ﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، و﴿يَتَأَيُّهُ السَّاحِرُ﴾^(٣)، و﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾^(٤) يحكى الأزهري القراءات في لفظ ﴿أَيُّهُ﴾ فيقول: «قرأ ابن عامر وحده ﴿أَيُّهُ﴾ بضم الهاء فيهن، وقرأ الباكون بفتح الهاء فيهن»^(٥).

(١) كتاب معاني القراءات ١٢٥/٢.

(٢) النور/ ٣١.

(٣) الزخرف/ ٤٩.

(٤) الرحمن/ ٣١.

(٥) كتاب معاني القراءات ٢٠٦/٢.

تعليق الأزهري على قراءة ابن عامر:

لقد علق الأزهري على قراءة بن عامر ، بقوله : «أما قراءة ابن عامر ﴿أَيُّهُ﴾ بضم الهاء فهو ضعيف في العربية ، والقراءة : ﴿أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [النساء: ١٣٣] «أي» اسم مبهم مبنى على الضم ؛ لأنه منادى مفرد ، وهاء لازمة لـ «أي» للتنبيه ، وهى عوض من الإضافة في «أي» لأن أصل «أي» أن تكون مضافة إلى الاستفهام والخبر ، وإذا أثبت ، قلت : أيتها المرأة ، واجتمع القراء على فتح الهاء في قوله : ﴿يَتَأَيُّهَا النَّفْسُ﴾ [الفجر: ٢٧] فدل ذلك على أن القراءة «يأيها» كذلك لا أدري لأحد أن يقرأ «أَيُّهُ» بضم الهاء ، وقد قال أبو بكر بن الأنباري : أن «أَيُّهُ» لغة ، وأجاز قراءة بن عامر على تلك اللغة»^(١) .

التعليق والمناقشة :

من خلال تعليق الأزهري على قراءة ابن عامر ، نلاحظ ما يلي :

أولاً : لقد وقع الأزهري في تناقض ، حيث ذكر قراءة عن ابن عامر ، ثم يقول : «لا أدري لأحد أن يقرأ بضم الهاء» ويصفها صراحة فيقول : «أما قراءة ابن عامر «أَيُّهُ» بضم الهاء فهو ضعيف في العربية» ، وعلى رغم صغر التضعيف يذكر رأي ابن الأنباري أنها لغة وجوازه قراءة ابن عامر على تلك اللغة .

ثانياً : يعتبر ذكر الأزهري لرأي ابن الأنباري كون «أَيُّهُ» بضم الهاء لغة اعترافاً منه بأنها قراءة وبأنها جائزة ، وما ذكره ابن الأنباري دفاع عما ضعفه وجهله الأزهري عن هذه القراءة ، والصواب مع ابن الأنباري حيث عينها أبو حيان بقوله : «لغة لبنى مالك رهط شقيق بن سلمة»^(٢) .

ثالثاً : وتضعيف الأزهري لقراءة ابن عامر مسبوق بتضعيف أبى على الفارس لها ،

(١) كتاب معاني القراءات ٢ / ٢٠٧ .

(٢) البحر المحيط ٦ / ٤٥٠ .

حيث ينقل عنه القرطبي رأيه وحجته ، فيقول : « وضعف أبو على ذلك جدا ، وقال : آخر الاسم هو الياء الثانية من «أي» فالمضموم ينبغي أن يكون آخر الاسم ، ولو جاز ضم الهاء - ها هنا - لاقتراها بالكلمة ، لجاز ضم الميم في «اللهم» لاقتراها في كلام طويل»^(١).

الرد على أبي على :

ويرد على أبي على بما يلي^(٢) :

١ - القراءة ثابتة بالرواية .

٢ - القراءة لهجة من لهجات العرب ، وموجهة عند العلماء .

٣ - القراءة ثابتة في الشعر العربي ، حيث أنشد الفراء :

يا أيه القلب اللجوح النفس أفق عن البيض الحسان اللعس

ونلاحظ أن الأزهري أخف حدة من أبي على ؛ وذلك لأنه التمس لها وجهها بثبوتها - على لسان غيره - لجهة من لهجات العرب .

الدفاع الرابع عشر :

عند قول الله تعالى : ﴿فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ﴾ [النمل: ٢٨] يحكى الأزهري القراءات في ﴿فَأَلْقَهُ﴾ فيقول : «روى عبد الوارث وشجاع عن أبي عمرو : «فَأَلْقَهُ» جزما ، وقال : وإن شئت «فَأَلْقَهُ» واختار «فَأَلْقَهُ» وقال اليزيدي عنه «فَأَلْقَهُ» جزما ، ووافق حفص أبا بكر في قوله : «فَأَلْقَهُ» جزما»^(٣).

تعليق الأزهري على هذه القراءة :

لقد علق الأزهري بحكمين :

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٤٧٧٥ .

(٢) تنظر هذه الردود في الجامع ٦ / ٤٧٧٥ والبحر ٦ / ٤٥٠ .

(٣) كتاب معاني القراءات ٢ / ٢٤٠ .

الأول : للنحاة ، وهو عدم جودة قراءة الجزم ، فقال : «وأما جزم الهاء فليس بجيد عندهم» ^(١) في مقابل اجتماعهم على قراءة الإشباع «ووجه القراءة فيها كما اجتمع عليه النحويون «فألقي» بالياء» ^(٢) .

الثاني : للأزهري نفسه ، وهو عدم إنكاره ثبوت الجزم لجهة من لهجات العرب حيث قال : «ولا أنكر أن يكون لغة ، فإن بعض القراء قرأوا بها ، ولم يقرأوا إلا وقد حفظوها عن العرب» ^(٣) .

التعليق والمناقشة :

يحمد للأزهري أنه يرد ويدافع عن جودة القراءة عند النحاة ، ولا يعيب الأزهري اختياره قراءة من القراءات ، كما فعل أبو عمرو في «فألقي» ، ولكن الذي لا يحمد له أنه ذكر في موضع آخر ما يخالف به مقاله الأول ، فيقول : «ويروى عن العرب الجزم المحض في أمثال هذه الهاءات ، فهو وهم ؛ لأن العرب يختلس الهاءات ، اختلاسا خفيا ، إذا سمعه الحضر مى ظنه جزما ، وذلك الظن منه وهم» ^(٤) فكيف يثبت الجزم لغة ويدافع بها عن القراءة ، ثم يجعلها - أي : اللغة - وهما ؟ ! ولذلك أرى أن القراءة الجزم صحيحة وليست بوهم لما يلي :

- (١) تواتر القراءة بها ، يقول أبو حيان : «هي قراءة في السبعة ، وهى متواترة ، وكفى أنها منقولة عن إمام البصريين أبى عمرو بن العلاء ، فإنه عربي وسامع لغة» ^(٥) .
- (٢) هي لهجة من لهجات العرب معزوة ، يقول الكسائي : «سمعت أعراب

(١) كتاب معاني القراءات ٢ / ٢٤٠ .

(٢) السابق .

(٣) السابق ذلته .

(٤) السابق ١ / ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٥) البحر ٢ / ٤٩٩ .

عقيل وكلاب يقولون : «لربه لکنود» بالجزم ، و«لربه لکنود» بغير تمام ، و«له مال» و«له مال» وغير عقيل وكلاب لا يوجد في كلامه اختلاس ولا سكون في «له» وشبهه ، إلا في ضرورة ، نحو قوله :
له زجل كأنه صوت حاد .

وقال : إلا لأن عيونه سيل وادياها^(١) .

الدفاع الخامس عشر :

عند قول الله - تعالى : ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١] .

يعرض الأزهري القراءات في ﴿بِقَدِيرٍ﴾ فيقول : «قرأ الحضري وحده «يقدر على أن يخلق» بالياء ، والرفع على «يفعل» وكذلك اقرأ في الأحقاف^(٢) : «يقدر على أن يحيى الموتى» وقرأ سائر القراء «بقادر» بالياء والخفض والتنوين في السورتين»^(٣) .

تعليق الأزهري على القراءات :

حوى تعليقه على ثلاثة عناصر :

الأول : الحكم على القراءتين السابقتين : قال : «الذي قرأ به الحضري جيد في باب النحو والعربية صحيح ، والذي قرأ به القراء جيد عند حذاق النحويين»^(٤)

الثاني : إنكار أبي حاتم لقراءة القراء ، يقول الأزهري : «وكان أبو حاتم

(١) البحر ٢ / ٤٩٩ .

(٢) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣] .

(٣) كتاب معاني القراءات ٢ / ٣١٢ .

(٤) السابق ٢ / ٣١٣ .

السجستانى بوهن هذه القراءة التى اجتمع عليها القراء ويضعفها»^(١) .

الثالث : الرد على أبى حاتم ، يقول الأزهرى : «وغلط فيما ذهب إليه»^(٢) .
وتتلخص رد ود الأزهرى على أبى حاتم فيما يلي :

١- هذه الياء لها معنى يتغير المعنى بدونها ، فهى داخله فى سياق جحد ، يقول :
 «وأخبرنى المنذرى عن أبى العباس أحمد بن يحيى أنه قال : فى قوله : ﴿وَلَمْ يَخَفْ يَخْلَقْهُمْ يَقْدِرْ﴾ [الأحقاف: ٣٣] هذه الياء التى تدخل للجحد ؛ لأن المجحود فى
 المعنى ، وإن كان قد حال بينهما بأن المعنى : أو لم يروا أن الله قادر على أن يحيى
 الموتى» فإن اسم «يروا» وما بعدهما فى صلتها لا تدخل فيه الياء ، ولكن معناه جحد
 فدخلت للمعنى ، قال : وقال الفراء والكسائى : يقال ، ما ظننت أن زيدا إلا قائم ،
 ما ظننت أن زيدا قائم ، فهذا مذهب الكسائى والفراء»^(٣) .

وقال فى موطن آخر : «فالباء دخلت فى خبر «أن» بدخول «أولم» فى أول الكلام ،
 ولو قلت : ظننت أن زيدا بقاءم ، ولم يجوز ، ولو قلت ما ظننت أن زيدا بقاءم ، جاز ؛
 لدخول حرف النفي فى أوله ، دخول «أن» إنما هو توكيد للكلام ، فكأنه فى تقدير :
 أليس الله بقادر على أن يحيى الموتى»^(٤) .

٢- جواز العلماء القراءة الباء ، فيقول : «وأجاز سيبويه وأبو العباس المبرد
 وأبو إسحاق الزجاج وأحمد بن يحيى ما أنكره السجستانى ، وهو أعلم بهذا الباب منه»^(٥) .

٣- كثرة القراء ، يقول : «والقراء أكثرهم على هذه القراءة»^(٦) .

(١) معاني القراءات ٢ / ٣١٣ .

(٢) السابق : ٢ / ٣١٣ .

(٣) السابق .

(٤) السابق : ٢ / ٣٨٣ .

(٥) السابق : ٢ / ٣١٣ .

(٦) السابق .

٤- ذكرت الباء في الشعر ، وأنشد الفراء في مثل هذه الباء :

فما رجعت بخائبة ركاب حكيم بن المسيب متهاها^(١)

٥- قياسية هذا الباب ، يقول : «ويقاس على هذا ما أشبهه ، قال : وتقول : ما أظنك بقائم ، وما أظن أنك بقائم ، فإذا خلعت الباء نصبت الذي كانت له بما تعمل فيه من الفعل»^(٢) .

الدفاع السادس عشر :

عند قول الله - تعالى : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ [الصفات: ١٢] يعرض الأزهري القراءات فيقول : «قرأ حمزة والكسائي : «بل عجبْتُ ويسخرون» بضم التاء ، وقرأ الباقون : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ بفتح التاء»^(٣) .

تعليق الأزهري :

علق الأزهري على قراءة حمزة والكسائي ، وحوى تعليقه ثلاثة عناصر :

الأول : بيان معنى قراءتهما : «ومن قرأ : «بل عجبْتُ» بضم التاء ، فالفعل لله جل وعز والمراد به مجازاته الكفار على عجبهم من إنذار الرسول إياهم ، كما قال جل وعز : ﴿ بَلْ يَحِبُّونَ أَنْ يَجَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ﴾ [ق: ٢] أي : عجبوا مكذبين»^(٤) فيكون من باب المشاكلة اللفظية عجب الكفار تكذيب ، وعجب الله عقاب وعذاب .

الثاني : بيان موقف الملحدين من هذه القراءة :

يقول الأزهري : «ولعل بعض الملحدين ينكر هذه القراءة بإضافة العجب إلى الله»^(٥) وقد رد الأزهري بما يلي :

(١) معاني القراءات ٢ / ٣١٣ .

(٢) السابق .

(٣) السابق ٢ / ٣١٧ .

(٤) السابق .

(٥) السابق .

١- بيان معنى العجب من الله من باب المشاكلة اللفظية .

٢- بالقراءات ، يقول : «وقد رويت هذه القراءة عن على وابن عباس» وأضاف أبو حيان : «ابن سعدان وابن مقسم وعبيد الله والنخعى . وابن وثاب وطلحة وشفيق والأعشى»^(١) .

٣- إثبات العجب لله على لسان الرسول ﷺ يقول الأزهرى : «وقد ذكر النبي ﷺ عجب ربكم من إلكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم»^(٢) .

الثالث : بيان موقف الأزهرى :

لقد ذكر الأزهرى عدة ردود ليدافع بها عن القراءة ويجعلها صحيحة ، يقول : «وهذه القراءة صحيحة بحمد الله لا ليس فيها ولا دخل»^(٣) وهذا في مواجهة من أنكر هذه القراءة ، ومنهم

القاضى شريح ، حيث يقول أبو حيان : «وأنكر شريح القاضى هذه القراءة ، وقال : الله لا يعجب ، فقال إبراهيم : كان شريح معجبا بعلمه ، وعبد الله أعلم منه - يعنى عبد الله بن مسعود»^(٤) . ومما يدعم موقف الأزهرى في دفاعه عن القراءة ما يلى :

١- اعتراف العلماء بها والذهاب إليها ، يقول النحاس : «وإليها ذهب أبو عبيد»^(٥) كما أحبها الفراء ، فقال : «والرفع أحب إلى» ، لأنها قراءة على وابن مسعود وعبد الله ابن عباس»^(٦) .

(١) البحر المحيط ٧ / ٣٥١ .

(٢) كتاب معاني القراءات ٢ / ٣١٧ ، ٣١٨ .

(٣) السابق .

(٤) البحر المحيط ٧ / ٣٥٤ والقصة في معاني القرآن للفراء ٢ / ٣٨٤ .

(٥) إعراب القرآن ٣ / ٤١٣ .

(٦) معاني القرآن ٢ / ٣٨٤ .

٢- عود ضمير المتكلم إلى رسول الله ﷺ على تقدير «قل بل عجبت»^(١).

٣- جواز اتحاد المعنى في القراءتين ، يقول النحاس : «سمعت على بن سليمان : معنى القراءتين واحد ، والتقدير : قل يا محمد : بل عجبت ؛ لأن النبي ﷺ مخاطب بالقرآن ، وهذا قول حسن»^(٢).

الدفاع السابع عشر :

عند قول الله تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ۖ وَلَا يُوثِقُ وُثْقُهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦] عرض الأزهري للقراءات في الفعلين ﴿يُعَذِّبُ﴾ ، و﴿يُوثِقُ﴾ .

فقال : «قرأ الكسائي والحضرمي : ﴿لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ۖ وَلَا يُوثِقُ وُثْقُهُ أَحَدٌ﴾ وكذلك روى المفضل عن عاصم ، وقرأ الباقون : ﴿لَا يُعَذِّبُ﴾ ، و﴿لَا يُوثِقُ﴾ بالكسر»^(٣).
اعتراض على قراءة الكسر :

ساق الأزهري رواية عن الجنيد أنه حُسن قراءة الكسر ، فقال : « وحدثني السعدي ، قال : حدثنا القرطبي ، قال : حدثنا على بن الحسين ، عن أبيه ، عن يزيد النحوي ، قال : كنت أعلم ولد الجنيد بن عبد الرحمن ، وهو وال على خراسان ، فدخل عليه ابنه ، فقرأ عليه : «لا يعذب عذابه أحد» فقال : لخت يا غلام ، فقال : هكذا علمني معلمي ، قال : فدعاني ، فقلت : هكذا حدثني عكرمة عن ابن عباس»^(٤).
التعليق والمناقشة :

في القصة التي أوردها الأزهري نرى أمرين :

الأول : تلحين الجنيد لقراءة الكسر .

(١) البحر المحيط ٧ / ٣٥٥ .

(٢) إعراب القرآن ٣ / ٤١٣ .

(٣) كتاب معاني القراءات ٣ / ١٤٥ .

(٤) السابق ٣ / ١٤٥ ، ١٤٦ .

الثانى : دفاع معلم الغلام عن القراءة بإسنادها إلى ابن عباس . والصواب أن القراءة صحيحة ولم تكن لحنا ، والدفاع عنها واجب ؛ وذلك لما يلى :

١- سوق الأزهرى نفسه توجيهاً لها ، حيث قال : «ومن قرأ : «لا يعذب ولا يوثق» فالمعنى : لا يتولى يوم القيامة عذاب الله أحد : ﴿الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ لَّهِ﴾ [الحج: ٥٦] .

وقيل : لا يعذب أحد في الدنيا كعذابه في الآخرة ^(١) ساق هذا التوجيه مع قراءة الفتح ، ثم يسوق ما جاء عن الجنيد ، ثم يتبعه بتوجيه للقراءة نفسها على لسان أحد العلماء ، فقال : « قال على بن الحسين بن واقد : «لا يعذب» فمعناه : لا يعذب بعذاب الله أحد» ^(٢) .

٢- ثبوتها قراءة عن النبي ﷺ «وقد روى أبو قلابة عن النبي ﷺ أنه قرأ بفتح الذال والشاء» ^(٣) .

٣- رجوع أبى عمرو إلى هذه القراءة ، يقول القرطبي : وروى أن أبا عمرو رجع إلى قراءة النبي ﷺ ^(٤) .

٤- قراءة طائفة من القراء ، هم : ابن سيرين وابن أبى إسحاق وسوار القاضي وأبو حيوة وابن أبى عبله وأبو بحوية وسلام وسهل وخارجة عن أبى عمرو ^(٥) والحسن ^(٦) .

٥- اختيار بعض العلماء لها : «واختار أبو عبيد وأبو حاتم فتح الذال والشاء» ^(٧) .

(١) معاني القراءات ٣ / ١٤٥ .

(٢) السابق ٣ / ١٤٦ .

(٣) الكشف ٢ / ٣٧٣ والجامع ١٠ / ٧٣٩٤ .

(٤) الجامع السابق ذاته .

(٥) البحر ٨ / ٤٧٢ .

(٦) الإنحاف ٢ / ٦٠٩ .

(٧) الجامع ١٠ / ٧٣٩٤ .

في هذا المبحث رأينا سهاما قد صوبت ، ونقودا قد وجهت نحو بعض القراءات القرآنية من بعض العلماء ؛ لأن القراءات – في زعمهم – لا تتمشى وقواعدهم النحوية ، ولا تتساق والمعاني اللغوية التي اعتقدوها وذهبوا إليها ؛ ظنا منهم أن القاعدة تقنين لا بد أن يخضع له كل نموذج ينضوى تحته بما في ذلك المروى من القراءات ، وهذا ليس بجيد ؛ لأن القراءات لها مكانتها التي تؤهل لدراساتها واستخلاص القاعدة منها ، وانبرى الأزهري مدافعا عن القراءات ، ومفندا هذه الاتهامات ، في مواقف صريحة من أقواله ، أو مستنبطة من بين سطور كتابه ، متوشحا – في هذا الميدان – بعدد من الأسلحة ، ومتخذا أنواعا من الوسائل ، تلخص فيما يلي :

أولا : توجيه القراءات وتخريجها :

استخدم الأزهري توجيه القراءات وتخريجها كوسيلة دفاع عن القراءة التي كان لبعض العلماء موقف منها ، مستعينا بعلمه ، ومفيدا من آراء وتوجيهات سابقيه ، وبالنظر في هذه التوجيهات ، وجد أنها أنت في المستويات التالية .

المستوى الأول : النحوى والصرفي :

لاشك في أن – هناك – قراءات من باب النحو والصرف ، فتوجيهها وتخريجها يكون من بابها ، والدفاع عنها – أيضا – يكون من جنسها ، مثل دفاع الأزهري عن قراءة : غير بالنصب بتخريج الفراء والزجاج ؛ إنصافا للقراءة من تشذيبه إياها ، وكما وجه قراءة عاصم في نصب «صلاتهم» ورفع «مكاء وتصدية» في مواجهة اتهام عاصم باللحن فيها ، وذكر توجيه الفراء في قراءة : «ثلثائة سنين» بالتنوين والإضافة ؛ ردا على أبى حاتم الذي ادعى عدم شهرتها ، ووجه قراءة : «أتوني» بالقصر قراءة حمزة والأعمش ؛ رداً على من خطأ القراءة بها ، ورأيناه يوجه قراءة «بقادر» بالياء الداخلة على اسم الفاعل في سباق نفي ، ردا على أبى حاتم الذي وهى هذه القراءة ، وأقام توجيهها لقراءة الكسر في «لا يعذب ... ولا يوثق» ردا على

تلحين الجنيد لها .

المستوى الثاني : الصوتي :

هناك قراءات مثلت الأصوات ، مثل باب الإدغام ، والهمز ، وغير ذلك ، ولم تسلم بعض القراءات الصوتية من نقد ، ودافع الأزهري و مثل دفاعه عن قراءة الهمزتين المحقتين في «أأذرتهم» رد على أبي حاتم ، كما ذكر رأي غير الفراء في عدم التفريق بين المكسور والمفتوح في ضاد «ضيق» وهذا في مواجهة الفراء .

المستوى الثالث : الدلالة والمعنى :

إبراز المعنى وإيضاحه استخدمه الأزهري كوسيلة للدفاع عن القراءات ، فقد ذكر توجيه الفراء لمعنى قراءة : «هل يستطيع ربك» بالياء ورفع الباء في مواجهة إنكار هذه القراءة ، وأبرز الأزهري معنى قراءة الياء في «ولا يحسبن» في مواجهة تضعيف أهل العربية لها .

المستوى الرابع : البلاغة :

لم يجعل الأزهري الدراسات البلاغية في توجيه القراءات القرآنية ، كما فعل في توجيه قراءة : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ في وجه إنكار المنكرين لقراءة الرفع .

المستوى الخامس : الأدب :

للشعر دور في تأكيد الظاهرة اللغوية فقد ساق الأزهري كلاما للفراء ، وفيه شعر يقوى به القراءة في مثل قراءة : «بقادر» في مواجهة من أنكرها .

المستوى السادس : النقل والنص الشريف :

لم يغفل الأزهري – كذلك – دور الحديث الشريف في تقوية دفاعاته عن القراءات ، مثل قراءة الرفع في ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ ردا على من رفضها .

ثانيا : اللهجات :

لقد وظف الأزهري اللهجات توظيفا يدافع به عن القراءات ، وذلك للارتباط الوثيق بينهما ، من ذلك ما وجدناه ردا منه على من ذهب إلى عدم جودة قراءة «عسيتم» بكسر السين بإثباتها لهجة ، وما وجدناه – كذلك – في قراءة : ﴿ فَنِعَمًا

هـى بكسر النون وسكون العين وتشديد الميم ؛ دفاعا عنها في مواجهة إنكار النحاة لها وكما أنصف قراءة ابن كثير : «قال فرعون وأمتهم» من نفسه بإثباته جريانها على لسان بعض العرب ، كما دافع بهذه الوسيلة امتناع النحاة وعدم تسويغهم لقراءة : «لا يهدي» بفتح الياء وسكون الهاء وتشديد الدال ، كما ذكر رأي ابن الأنبارى في أن القراءة بضم الهاء في «أيه» من باب اللهجات ؛ ردا على الأزهري نفسه بأن القراءة بها ضعيفه ، كما رد الأزهري نفسه بهذا السلاح على عدم جودة قراءة الجزم عند النحاة في قوله : «فألقه» .

ثالثا : مكانة القارئ ومنزلته :

استعان الأزهري بمكانة ومنزلة القارئ العلمية والخلقية كسلاح ماض في دفاعاته عن القراءة ، كما تحدث عن عاصم في مواجهة اتهامه باللحن في نصب «صلاتهم» ورفع «مكاء وتصديقه» .

رابعا : الرواية :

فهمنا من الأزهري - في موضع - أن الرواية من الوسائل القوية للدفاع بها عن نفسها ، كما في قراءة : «لا يهدي» بفتح الياء وسكون الهاء وتشديد الدال وتقرير الأزهري أنها مروية مما يؤكد هذا ، ويؤكد غيره بإيراد الرواية في «فنعمنا من» و«لا تعدوا» على التقاء الساكنين .

خامسا : الكثرة :

لقد اعتمد الأزهري على كثرة القراء الذين قرؤوا بالقراءة في تأكيد القراءة وإثباتها ، مثلما قام بذلك في قراءة «بقادر» حيث ذكر كثرة القراء بها . في مواجهة أبى حاتم .

سادسا : إجازة العلماء للقراءة واختيارهم لها :

لقد أثبت الأزهري الجواز الصادر من العلماء وجوازًا للقراءة و جواز لإثباتها ودفعًا لإنكارها ، رأينا ذلك في قراءة : «فنعمنا هى» بكسر النون وتسكين العين وتشد

الميم، واختيار أبو عبيد لها في مواجهة إنكار النحاة، ورأينا ذلك في جواز العلماء لقراءة: «بقادر» في مواجهة أبى حاتم.

سابعاً: القراءات الشاذة :

إن للقراءات الشاذة دوراً كبيراً وخطيراً في إثبات القراءات الغير شاذة، أي: المتواترة، والدفاع عنها إذا وجه إليها نقد أو قدح، وهذا ما رأيناه جلياً عند الأزهرى، فقد ذكر قراءة ابن مسعود رضي الله عنه في «ولا يحسبن» بالياء، مؤكداً بها قراءة ابن عامر وحفص وحزمة، وراداً بها على من ضعفها من أهل اللغة، وكما أورد قراءة على وابن عباس المدعمة لقراءة الرفع في «بل عجبت» ورداً على من أنكرها، وكذلك ما أورده من رد معلم بن جنيد على تلحين الجنيد لقراءة الكسر في «لا يعذب.... ولا يوثق» بأنها مروية عن ابن عباس.

وإن شاء الله سافرد لهذا السلاح وهذه الوسيلة حديثاً؛ نظراً لكثرة ردوده في كتاب الأزهرى الذي نحن بصدد دراسته.

فوائد بيان هذه الأسلحة وهذه الوسائل: لقد ركزنا على إبراز هذه الوسائل، وما كشفنا اللثام عنها إلا لأمرين:

الأول: معرفة دور الأزهرى كقاضٍ عن القراءة الموجه إليها نقد.

الثاني: اصطحابها عندما نحتاج إليها في مواجهة من ينكر قراءة أو يصدر ضدها حكماً.
